ولنا هنا ملاحظة أخرى وهو انك لا ترى على ضفّة الانهار اللبنانية لا مدينة ولا قرية مهمّة (ZDPV, XXVII, ١١٤) مثال ذلك حواضر فينيقية كصور وصيداء وبيروت وجبيل والبترون فكان حقيقاً بها ألّا تبعد عن هذه الانهار. ولعلّ السبب في ذلك ان في جوار هذه الانهار وعند مصبها تكثر الامراض الوبيئة والحمّيات ويفسد الهواء. ثم انّ الفينيقيين كانوا تجاراً لا يعتنون بالفلاحة والزراعة ومن ثم لم يختاروا لمدنهم السهول ومجاورة الانهار بل كانوا يفضلون الرؤوس الداخلة في البحر والخلجان التي تصلح لمرافئ سفنهم حيث يسهل عليهم في حصونهم البحريّة ردّ هجمات العدوّ وركوب البحر وتأمن سفنهم من الرياح وتراكم الرمل ويسهل وسقها بالبضائع. وكلّ ذلك اوفى بالمرام عند الرؤوس الصخريّة. وما يدلّ على أنهم احسنوا اختيار مواقع هذه المدن أنها لا تزال في مراكزها القديمة مع ما طرأ عليها من التقلّبات العديدة وصروف الدهر. بل ترى بعضها تتقدّم كل يوم في معارج الفلاح

مجموعة السنهادوسات الكلدانيّة

بقلم حضرة الاب الفاضل الخوري بطرس عزيز نائب بطريرك الكلدان في حلب

نشر العالم المستشرق الخوري يوحنّا شابو لاول مرّة كتاباً ذا اهمية عظمى في تاريخ الأمّة الكلدانية وهو مجموعة سنهادوسات اي مجامع قديمة (١ كانت ولم تزل عند النساطرة دستور العمل ومحور التهذيبات الكنسية فاحببنا ان نعرّف بها قرّاء المشرق الأنور

لم يكن هذا الكتاب معروفاً في اوربّة الّا من نفر قليلة استشهد بها كتبة النساطرة في تآليفهم لاسيّما عبد يشوع الصوباوي. وكان السماعنة لخّصوا منهُ بعض القوانين استناداً الى ترجمات عربية لهذه المجامع حتى اتى به الطيّب الذكر المطران يوسف داود في جملة الستة والاربعين مخطوطاً التي استنسخها في الموصل سنة ١٨٦٩ المتحف البوردجياني الذي انتقل اليوم الى المكتبة الواتيكانية. فلمّا عرف المستشرق شابو ان الاصل محفوظ في دير ربان هرمز للكلدان استجاب من هناك نسخة أخرى للمكتبة

1) Synodicon Orientale ou Recueil de Synodes Nestoriens, publié traduit et annoté par I-B. Chabot. *Paris, Imprimerie Nationale.*

الباريسية وامكنه بذلك ان ينشر المتن مضبوطاً. وقسم كتابه الى ثلاثة اقسام: الاول يحتوي على النص الكلداني لاعمال هذه المجامع ويتضمن الثاني ترجمته الفرنساوية مع حواشي تاريخية ولغوية وافرة ومقابلات بين النسخ التي لديه. وفي الثالث حشد بقلة ملحق عدة آثار تاريخية لها نسبة الى تلك المجامع وختمهُ باربعة فهارس. امَّا هذه المجموعة فتحتوي على اعمال ثلاثة عشر سنهادوساً تستغرق من سنة ٤١٠ للمسيح الى سنة ٧٧٥. والثلاثة الاولى منها عُقدت قبل النسطرة والباقي في النسطرة. وكان السيد الذكر البطريرك عبد يشوع خياط قد ذهب الى ان جامع هذه السنهادوسات هو البطريرك ايليا الاوَّل النسطوري (سنة ١٠٤٩) الَّا ان الاب شابو مع غيره من العلماء فنَّدوا هذا الراي ببراهين قاطعة واثبتوا ان مجموعتنا هي اقدم من ذلك باكثر من جيلين ولا يُعرف اسم مؤلفها

والفوائد التي يمكن التاريخ ان يجتنيها من الكتاب كثيرة اخصُّها اولاً الوقوف على تقلبات وتغييرات التعاليم النسطوريَّة في تادي الزمان وهذا يُعرف من فحص صور الايمان المدوَّنة في صدر اكثر هذه المجامع. ثانياً يُستدل منها على تاريخ بطاركة النساطرة بالضبط وتتصحح بها عدَّة امور نعرفها من تواريخ اخرى. ثالثاً يُستفاد من جداول المطارين العديدة التي فيها جملة اعلامات مهمَّة لتاريخ الكنيسة الشرقيَّة. ولكي يتاكد القارئ ذلك عزمنا ان نلخص في هذه المقالة اعمال المجامع الثلاثة الكاثوليكية تاركين ما يختص بالمجامع النسطوريَّة الى مقالة أُخرى ان شاء الله تعالى

﴿ المجمع الاوَّل ﴾ التأم المجمع الاول بتحريض ماروثا اسقف ميافارقين عندما أُرسل سفيرًا للمرَّة الثانية من لدن ملك الروم الى ملك الفرس. وقبلت فيه قوانين المجمع النيقاوي وترتبت بعض الشؤون الكنسية وتعيَّنت لكل اسقف ابرشيتهُ وأُزيل الشغب الذي كان بين الجاثليق وبعض من اساقفته وها نحن ذا نورد مقدَّمات المجمع بالاختصار:

« في السنة الحادية عشرة لملك يزدجرد (٤١٠م) بعد ان استتبت الراحة في كنائس الرب وبطل الاضطهاد وابرز الملك امرهُ بان تُبنى المعابد ويُطلق سبيل المسجونين من اجل الايمان وتعطى الحريَّة للاكليروس (في رئاسة مار اسحق اسقف ساوقية وقطيسفون جاثاليق المشرق) بواسطة السفير بشير السلام الذي ارسلهُ الله اي الاب

الحكيم مار ماروثا اسقف ميافارقين الذي وطد كنائس المسيح واجتهد بان تذاع في الشرق ايضاً القوانين المقررة في بلاد المغرب لبنيان شعب الله . وبسعي الرؤساء الآباء اساقفة الناحية الرومانية برفيريوس بطريرك انطاكية وأقاق اسقف حلب وفاقيدا اسقف الرها واوسابيوس اسقف تلّا واقاق اسقف آمد وجميع مستأهلي الذكر الصالح امام الله في كنائسنا الذين مع بعدهم عنّا بالجسد قد ابانوا محبتهم وغيرتهم نحونا برسالة بعثوا بها الى مار ماروثا طالبين منهُ تحت قسم ان تُتلى على مسامع الملك . فلمّا قرئت قال الملك : « ان المشرق والمغرب هما مملكة واحدة في عهدي » . واوعز الى مرازبة مملكتهِ ان يبعثوا الاساقفة من كل ناحية ليأتوا ويجتمعوا ويبطلوا الانشقاق والانقسام ويرتبوا ما يؤول الى حسن تدبير الكنيسة الجامعة لكي يقبل اخوتهم اساقفة الفرس والاماكن الاقصى موقناً التحديدات البارزة في حقهم من حكم هؤلاء الاساقفة

« فلمّا وصل آباء المجمع الى المدائن قرئت الرسالة على مسامعهم بامر الملك وهذا نحواها : (اوّلاً) ان لا يكون في مدينة واحدة اكثر من اسقف واحد ولا يُرسم الاسقف الّا من ثلاثة اساقفة . (ثانياً) ان نعيّد الميلاد والغطاس بالاتفاق ونصوم معاً الصوم الاربعيني ونحتفل بعيد الفصح المقدّس ويوم الصلب العظيم ويوم القيامة ونقرّب لله في كنائسنا ذبيحة جسد ودم المسيح لتقديس احيائنا وقيامة اموانتا . (ثالثاً) اذا شاء ربّنا وسمع دعاءنا وصدر الامر الملوكي باجتماع الاساقفة نرسل لكم القوانين المثبتة في مجمع الثلثماية والثمانية عشر المقام في نيقية »

ثم قرئت هذه القوانين في المجمع فقال اسحق : « من لا يقبل هذه الشرائع فليكن محروماً » . وكرّر قولهُ الاساقفة جميعاً ثم اوردوا صورة ايمان نيقية بالحرف . ووضعوا واحداً وعشرين قانوناً تختص بالتهذيبات الكنسية تشاهد الاساقفة على حفظها وكان عددهم اربعين ولكن في آخر اعمال المجمع لا يوجد الّا توقيع ثمانية وثلاثين اسقفاً

﴿ المجمع الثاني ﴾ في السنة الحادية والعشرين ليزدجرد ملك الملوك (سنة ٤٢٠ م) في رئاسة مار يابالاها جاثليق المشرق في السنة الخامسة لحبريته لمّا أرسل مار اقاق اسقف آمد سفيراً من لدن ملك الروم (ثاودوسيوس الصغير) الى ملك الملوك محبّ السلام لاجل راحة الكنائس المسيحية في المشرق لكي يقابل بمجيئه سفارة ابينا مار يابالاها الجاثليق الذي كان ارسلهُ ملك الملوك باكرام وابهة الى ملك الروم لاجل

صبح هاتين المسكونيين بما كان هذان الأبوان مجتمعين عند ملك في مدينة بيت اردبشير نحن اساقفة جميع انواحي المشرقية اجتمعنا لكرامة ابينا المحترم بابالاها وافتقد احاه مار اقاق وقدمت لابوته ومار اقاق هذا العرض: من حيث ان ابوتك صعدت سفيرا الى الغرب واشتركت في قدسيات الكنيسة الكاثوليكية مع احبار تلك البلاد ومن حيث ان اخاك مار قاق نزل الينا سفيرا وهو في كمال الاتفاق معك ومنا في كل ما يختص بالترتيب الكهنوتي فمن اللائق بنا ان نؤيد بتوقيعنا المراسيم المحيدة الموضوعة من تلاميذ الرسل آبائنا لاجل تيادة الكهنوت وكذلك الشرائع الرهبنة والقوانين المسنونة في مجامع الاساقفة في ارض نختفة في المغرب وهي المجمع النيقاوي ومجمع انقرة غلاطية وقيصرية جديدة وعغرا ومجمع انطاكية في تقديس بيعة ومجمع اللاذقية في قريحية. وبعد ان يثبر ضرورة هذه الشرائع لحسن تدبير الكنيسة وابطال المنازعات قرروا ان يطلب اذن من قسطنطين ان تعطي لكل منا القوانين التي سنّتها اساقفة الناحية الرومانية المحفوظة هناك بتدقيق لكي نحفظها نحن ايضا ونهذّ بها نهارا وليلا ونتفق في اتباعهم الواحد المأخوذ عن الرسل وتدبر بشرائعهم ولا يبقى بيننا وبينهم فرق البتة

فاجابهم بابالاها بان هذه كانت نيّة منذ يوم تبرأ الرئاسة فاعطى لكل منهم هذه القوانين وحثّهم على العمل بموجبها ورشق بالحرم كل من لا يتبعها ثم قال: «وما هي هذه الشرائع المسنونة من الآباء. انما هي جميع القوانين المنحصرة في مرسوم واحد في عهد اسحق الجاثليق وكانت قد سُنّت وقتئذ لتلك الظروف ومع ان الظروف تتغير مع الزمان والشرائع مع المشترعين يلزم المحافظة على هذه السنن القديمة التي في وقتها ردعت الجسورين». وهكذا قرّ رأيهم بالاتفاق مع اقاق وختم الاساقفة قائلين: «نحن بحضور بابالاها الجاثليق واقاق الاسقف والسفير قد وقعنا على كل هذه الاشياء التي اتفقنا عليها فليكن عند كل واحد منّا نسخة من هذه القوانين ليعمل بموجبها ومن قاوم منا او من الآتين بعدنا هذه المراسيم يُعدّ غريباً عن خدمة المسيح». وفي آخر الاعمال توقيع اثني عشر اسقفاً

﴿ المجمع الثالث ﴾ التأم لاعادة الجاثليق داد يشوع الى الرئاسة بعد ان كان قد استقال عنها مدّة من اجل سوء المعاملة التي لقيها من بعض اساقفته

في السنة الرابعة لملك وهران (٤٢٩) بحضور داد يشوع الجاثليق اجتمع في

مركبة العرب الاساقفة (وهنا اسماء ٣٦ اسقفاً) وقدموا الى الجاثليق عرضاً يطلبون فيه منهُ ان يرجع فيستلم زمام الكنيسة المشرقية قائلين: « ان الآباء والقديسين والشهداء متفقون على الاقرار بالحقوق البطريركية المعطاة لهذا الكرسي المقدَّس كرسي كنيسة كوخي وانت ايها الاب قد وُضعتَ على هذا الكرسي اباً ومديراً لجميع الكنائس المسيحية في المشرق ومن كرسيك امتدت الرئاسة الى جميع الكراسي الاسقفية ليس فقط في هذه المملكة بل الى ما ابعد منها ايضاً ولا تقدر القوات العالمية ان توقف سيرها »

فاجاب داد يشوع متشكياً من الاساقفة المضادين الذي حُرموا وأُزيلوا عن كراسيهم في عهد اسحق وبابالاها سالفيه وقد فارق بعضهم هذا العالم وبعضهم حاضرون وهم مع ذلك مصرّون على عنادهم باستمرارهم في الرئاسة وقد اوقعوا بالكنيسة اضراراً جسيمة بالتجائهم الى حماية الوثنيين وأقاموا ضمائر البسطاء مدَّعين انهم حُرموا ظلماً فلا يخضعون لهذه التاديبات . الى ان قال: « وانا ردعاً لخبثهم هذا قد كتبتُ صورة الحكم البارز عليهم وارسلتهُ الى بلادهم فهاجوا من جراء ذلك ورفضوا الحكم واشاعوا بطلان حقوقي وشنَّعوا عليَّ ونسبوا اليَّ عبادة النار والسيمونية وعدم الاهلية والجهل وكان من هذه الشكايات انَّ الوثنيين ثاروا على النصارى وصدَّقهم البسطاء وتحزبوا لهم ضدي . وفي السنة الماضية قدموا عليَّ امام الخلفاء شكايات قويَّة ولم اجد معزّياً ولا محامياً في الاوجاع التي داهمتني من جرّائهما بين القيود والعذابات وبذلك اشتدَّ الاضطهاد واضحى المجوس اقدر على هدم الكنائس والاديرة وكثيرون جحدوا الايمان والبعض استشهدوا والاغلب هربوا واختفوا . اما اولئك المساندون فلم يزدادوا الَّا خبثاً وهم لا يريدون عليهم بطريركاً يردعهم عن مقاصدهم السيئة . . . قد سمعتم كيف نجوت كالطير من فخ الصياد والآن لماذا تتعبون ايضاً نفسي الكئيبة لِمَا قاست من اصناف المصائب . . قد تكبَّدت لاجل شرفكم احزاناً تفوق الحد فاتركوني ودموعي على خراب الكنيسة وتدمير اولادها وفقدهم » . قال هذا والدموع تهطل من عينيه وبكى معهُ جميع الاساقفة

فقام اغابيت اسقف بيت لاقاط وطلب ان يُسمح لهُ بالكلام وان يقرأ الرسائل القانونية الواردة من آباء المغرب الى آبائنا المشرقيين من قديم الزمان وموخراً في عهد ماروثا وبابالاها وذكر القلاقل التي اسفرت عن احداث الاضطهادات في الكنائس واخص

اسبابها الاساقفة المتمردون الذين ردعهم مار فافا الجاثليق بوقته واحتمل منهم ما احتمل الّا ان الآباء الغربيين انتصروا له وأنصفوه حقه . ثم استوثقت القلاقل على زمن الجاثليق اسحق من الاساقفة العقوقين وهو ايضاً كابد منهم عذابات فادحة حتى السجن الى ان رجع النظام في الكنيسة ببيعة الاباء الغربيين بواسطة ماروثا الذي سعى بعقد مجمع حرم فيه المردة وكذلك الامر في زمان يابالاها حتى وصل الخبر الى آباء المغرب فحسموا الشقاق ورجع السلام . الى ان قال : « وانتم ايها الآباء تعلمون انهُ كلما حدث عندنا اضطراب كان الآباء الغربيون عضداً لهذه الرئاسة وهكذا خلصونا من الاضطهادات الثائرة على اجدادنا من المجوس بواسطة السفراء الذين كانوا يمثلون بهم المرة بعد المرة . امّا الآن فمن حيث الظروف لا تسمح لهم بذلك علينا نحن ان نداوي جراحنا ونفدي بانفسنا ابانا داد يشوع القائم لنا مقام بطرس فلنتوسل اليهِ بكل ما يمكننا من علامات التذلل ان يرجع الى الرئاسة »

ثم انهم بمشورة هرمز اسقف نصيبين قاموا كلهم واطرحوا على اقدام داد يشوع ورفعوا اصواتهم بالبكاء مسترحمين منهُ ان يتجاوز عن تقصيراتهم في حقه وان يقبل طلبتهم ويرجع الى رئاسته وان يحرم الاساقفة المتمردين ووعدوا انهم يقبلون ما حدده الآباء الغربيون بان لا يحاكم الرأس من المرؤوسين الذين تحتهُ وان لا يجمع الاساقفة مجمعاً ضد رئيسهم بل اذا اقتضى الامر ولم يقنعوا بحكم البطريرك ترفع الدعوى الى اقرانه ومن حيث عُلم بالاختبار ان الذين تشكوا من الجاثليق كانوا مذنبين ونالهم القصاص فلهذا الآن نحدد بكلمة الله ان لا يقدم الشرقيون شكاية على بطريركهم قدام الغربيين وان كلَّ ما لا يمكن اصلاحه قدام هذا يحفظ لمنبر المسيح(١) . ثم زاد الاساقفة قائلين : « حيٌّ هو الرب وحيٌّ هو اقنومك ايها الاب ان ايادينا لا تترك ارجلك ولا نقوم من الارض حتى تتصالح معنا ومع الكنيسة »

فاجاب داد يشوع : « ناشدتكم الله لا تريدوا احزاناً على احزاني باستمراركم منطرحين على الحضيض . انهضوا فاصنع بما اردتم » . ثم انهُ غفر للمذنبين عن جهل وشجب المعتدين وقام الاساقفة ووقّعوا على اعمال المجمع

---

(١) في هذا نظر لانَّ للاساقفة حقاً ان يرفعوا دعواهم الى نائب المسيح فيحكم بينهم وبين بطريركهم حكماً فصلاً (المشرق)